خلود العواصم مرهون بتضحيات أبنائها

حنا الراهب - بغداد

تصر بعض وسائل الاعلام "والعربية منها" بشكل لافت- عندما يكون الحديث عن العراق- على التمسك بمفردة سقوط بغداد لا سيما في شهر نيسان من كل عام حيث تصاحب هذه المفردة فقرات البرامج الاذاعية والتلفزيونية بما فيها نشرات الأخبار والندوات واللقاءات والتحقيقات وحتى النشرة الجوية وطلبات المستمعين والمشاهدين من "الكليبات والسبوتات" والذي منه. كما تشغل هذه المعزوفة مانشيتات الصحف والمجلات وافتتاحياتها وأعمدتها ومحلياتها وأبراجها وكلماتها المتقاطعة مع ان الجميع شاهدوا بالمباشر وبالنقل الحي من خلال عدسات فضائياتهم الأنيقة المتربصة ان الذي سقط مجرد صنم وان الذي تهاوى مجرد سلطة وان الذي اندثر مجرد حقبة سوداء وان الذي جرى مجرد حادث عابر ليس في تأريخ بغداد وحدها بل في تأريخ شعوب العالم. تهاوى هولاكو وموسوليني وهتلر وقبلهم الفراعنة والأكاسرة والقياصرة وقبلهم وبعدهم وظلت العواصم شامخة بشعوبها وتأريخها وحضارتها. وبقيت البلدان تتحدى عاديات الزمن الى قيام الساعة. وبغداد كانت وستظل دارة المجد ودار السلام شامخة شموخ تأريخها الزاهر وشمم رموزها الخالدين.. فهذه ليست المرة الاولى التي تتعرض فيها بغداد للغزو والاحتلال والخراب والدمار وان تعددت الأسباب واختلفت التسميات وتنوعت العناوين والأيدي والأسلحة والأساليب وهذه ليست المرة الاولى التي تهرق فيها دماء العراقيين وتصبغ الشوارع والأنهار ويتهدم عمرانهم وتنهب ثرواتهم ويخرب اقتصادهم. أين هولاكو وتيمورلنك وموجات التتار؟، ما زال نهر دجلة الأزلي الذي أحالوه دما وحبرا يجري مع الدهر بكل إصرار وتحد. أين المغول وأدوارهم المظلمة؟!، ما زال فرات الخصب والنماء يغسل وجه العراق من شماله الى جنوبه ليروي مع دجلة الخير الزرع والضرع فتعشوشب أرضه المعطاء بما أفاض الله تعالى عليها من غلال.. أين العثمانيون وسلاطينهم وولاتهم وفرماناتهم؟!، أين حلف بغداد ومنطقة الاسترليني ومعاهدات الأمبراطورية التي لا تغيب الشمس عن أملاكها ومستعمراتها؟!، أين.. وأين.. وأين..؟!، تلاشت ولفها الزمن مع ما لفه ويلفه من بدء التكوين وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، وطواها النسيان في بطون ذاكرته. وصارت خبرا يُروى!.

بغداد قبلة الشرق وعاصمة عراق الإرث الحضاري الضارب في أعماق التأريخ، بملامحه الآشورية البابلية السومرية، بأطيافه الزاهية وموزائيك شعبه المتآخي الذي لا تهزه المحن، ولا تهده النكبات بل تزيده إصرارا ورسوخا ومطاولة وستظل بغداد عمق العرب وزهوهم ومددهم في سرائهم وضرائهم

وظلت بغداد قبلة الشرق وعاصمة العراق بإرثه الحضاري الضارب في أعماق التأريخ بملامحه الآشورية البابلية السومرية، بأطيافه الزاهية وموزائيك شعبه المتآخي، الذي لا تهزه المحن، ولا تهده النكبات بل تزيده اصرارا ورسوخا ومطاولة وستظل بغداد عمق العرب وزهوهم ومددهم في سرائهم وضرائهم.

صلاح زينل

العلاقة الجدلية بين القومي والوطني

المهندس خوشابا سولاقا

في دولة متعددة القوميات والأعراق والأثنيات والأديان والطوائف ينشأ مجتمع وطني شديد التعقيدات وكثير المشاكل وعميق الصراعات ذات طوابع متعددة الأوجه، قد يختلط ما هو قومي منها بما هو ديني أحيانا بين القوميات المتعددة الأديان، وما هو ديني ومذهبي داخل القومية الواحدة بما هو طائفي أو مذهبي في أحيان اخرى، هذا الاختلاف والتنوع يخلق أرضية خصبة وملائمة لاشتداد الصراعات القومية والدينية والطائفية والمذهبية واللجوء الى استخدام العنف العشوائي بكل أشكاله، وبالتالي ينتهي بحروب أهلية بين القوميات أو بين الأديان أو بين الطوائف، عندما تأخذ الصراعات هذا الشكل العنيف تؤدي الى إضعاف وتفكك أواصر التماسك ووحدة المجتمع الوطني وتلك كارثة تحل بالوطن والشعب على كافة المستويات الوطنية، الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية وغيرها ولا يمكن إزالة آثارها لأمد طويل من الزمن. بالتأكيد هذه التداعيات تنعكس ايضا سلبا وبدرجة أشد على المستوى القومي للقوميات والطوائف المكونة للمجتمع الوطني وتكون أكثر ضررا للأقليات القومية والدينية بحكم حجمها وتركيبتها ودورها في تشكيل وبناء المجتمع الوطني. هذه هي حالة المجتمع العراقي الآن، يؤسفني جدا بأن يكون دور بعض النخب السياسية وبالذات منها التي تسترشد بأيديولوجيات ذات النزعة القومية والدينية الطائفية والمتحكمة بالقرار العراقي هو العمل على تعميق أسباب زرع الفتنة الطائفية وإذكاء نار الاحتقانات القومية والدينية والطائفية وبدعم بعض الجهات الإقليمية التي لها مصلحة في إفشال التجربة لإقامة نظام ديمقراطي في العراق، كل ذلك يجري تحت شعارات ويافطات وطنية زائفة في كافة مجالات ومؤسسات الدولة ووسائل الإعلام التي لا يهمها من القضية غير الكسب المالي والشهرة وخدمة وتزكية المفاهيم والطروحات القومية والدينية والطائفية التي تعمل على تمزيق الوحدة الوطنية لحساب الأحزاب والفئات والتكتلات القومية والطائفية التي تنتمي اليها تلك الوسائل الإعلامية.

ان البلدان التي فيها تنوع وتعدد قومي وديني وطائفي من واجب بل من أولى أولويات برامج أحزابها السياسية هي السعي بروح وطنية صادقة وحرصا شديدا على المصالح الوطنية العليا وحفاظا على وحدة الوطن والشعب، الى ايجاد إطار سياسي وطني يلم الجميع على أساس تحقيق المصالح الوطنية والقومية والدينية والطائفية للجميع دون النظر الى عدد نفوس أو حجم أي مكون من مكونات الشعب بل ان يكون النظر الى كل فرد من أفراد الشعب من الزاوية الوطنية بغض النظر عن قوميته ودينه وطائفته. عندما يكون لنا مثل هذا النظام السياسي عندئذ لا يشعر ولا يحس أحدا بأنه مغبون أو مظلوم أو مقصي ومهمش الحقوق ولا يرى غيره أفضل منه أو مفضل عليه، بذلك نكون قد قضينا على كل أسباب الفرقة والصراعات القومية والدينية والطائفية عندها تكون الأرضية الوطنية مهيئة لبناء الوحدة الوطنية الراسخة والصلبة القائمة على أساس المحبة والأخوة والتعايش السلمي والأمن الأهلي، عندها ينطلق الوطن بقوى شعبه كافة نحو بناء المستقبل المشرق الآمن والزاهر نحو بناء حياة ديمقراطية سليمة وتناوب السلطة سلميا من خلال الانتخابات الحرة النزيهة بعيدة عن تأثيرات المصالح الفئوية والحزبية الضيقة.. هذه هي العلاقة الجدلية بين ما هو قومي وما هو وطني في العمل السياسي.. الوطن أولا وثانيا وثالثا وغير الوطن يأتي بعد ذلك.. في ازدهاره تزدهر القومية.. في وحدة الوطن تتوحد القومية.. في أمن وأمان وسلامة الوطن تجد القومية الأمن والأمان والسلامة.. في تحقيق الذات الوطنية الصادقة تتحقق الذات القومية.. في الاخاء الوطني يتحقق الاخاء القومي والتعايش السلمي بين القوميات.. لتحقيق مثل هذه الحياة الحرة الكريمة في ظل نظام وطني ديمقراطي تعددي يضمن حقوق الجميع يجب ان تعمل النخب السياسية في بلادي العراق، ما بين النهرين من قمم جبال كردستان الشماء الى سهول سومر في البصرة والناصرية وميشان الى أرض بابل الحضارة والتاريخ الانساني أرض قانون حمورابي الى النجف الأشرف أرض المراقد المقدسة من أهل البيت الى هضاب الانبار وسهول نينوى واربيل ودهوك وكركوك والسليمانية وديالى وواسط من أجل:

١. إشاعة الفكر والثقافة الوطنية والديمقراطية من أجل الحفاظ على وحدة وطن العراق أرضا وشعبا.

٢. اشاعة ثقافة نبذ العنصرية والشوفينية القومية ونبذ ثقافة التعصب الديني والطائفي وكل ثقافة تؤدي الى تمزيق وحدة الوطن والشعب.

٣. اشاعة ثقافة رفض الفكر الأصولي المغذي للإرهاب.

٤. اشاعة ثقافة رفض الاقصاء والتهميش للآخر والعمل على اشاعة ثقافة التعايش السلمي بين مكونات الشعب المختلفة.

محنة المهجرين العراقيين.. نتيجة تنتهي بمعالجة أسبابها

(AFP PHOTO)

حميد الموسوي - بغداد

التقارير الأخيرة التي صدرت عن وزارة الهجرة والمهجرين وايدتها تقارير منظمات الهجرة التابعة للامم المتحدة والمنظمات المستقلة او التابعة لدوائر الهجرة في بعض البلدان وعلى وجه الخصوص البلدان التي تدفقت عليها افواج المهجرين العراقيين، هذه التقارير تحدثت بلغة الارقام عن وجود اربعة ملايين عراقي مهجر وعلى صنفين:

الصنف الأول مهجرون داخل العراق ارغموا على ترك بيوتهم وممتلكاتهم ومناطق سكناهم وساحوا في ارض العراق الواسعة يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، يسدون الرمق بما يجود به المحسنون وما تيسر من قطارة الحكومة والجمعيات الانسانية بعدما خسروا كل شيء بما فيه مستقبل اولادهم الدراسي والعلمي والمعيشي.

اما الصنف الثاني فقد تركوا العراق بما فيه واستجاروا بدول الجوار على امل الحصول على ملاذات امنة في بلدان العالم الأخرى فراراً من الذبح على الهوية وسقوط الهاونات على المناطق الآمنة والسيارات المفخخة والأحزمة الناسفة التي تستهدف الأسواق والتجمعات ودور العبادة ومناهل الدراسة ولا تستثني احدا، وباستثناء قلة قليلة من هذين الصنفين فإن الغالبية العظمى من هذه الملايين الاربعة قد تعرضوا للتهديد والقتل وتم تصفية العديد من رجال بعض تلك العوائل وفر الباقون بجلودهم لتستحوذ بعد ذلك العصابات التكفيرية الوافدة على دور وممتلكات تلك العوائل وتحولها الى اوكار للجريمة وورش لتفخيخ السيارات والاحزمة الناسفة.

وبرغم صيحات الاستغاثة التي اطلقها المتضررون على مرأى ومسمع العالم وعبر وسائل الاعلام وبكافة وسائلها المقروءة والمرئية والمسموعة، وبرغم مناداة ومناشدة وتحذير الحكومة العراقية ومنظمات المجتمع المدني ومن خلال كافة القنوات الدبلوماسية والمدنية وبرغم ذلك وغيره صم الجميع اذانهم ودفنوا رؤوسهم!. فعلى مستوى الداخل اخذ التقصير اشكالاً متعددة:

* جهات شخصت الداء واكتفت بالشجب والاستنكار.

* جهات وقفت متفرجة ظناً بأن الطوفان يستثنيها وان النيران تظافر جميع الجهود لاحتواء هذه الظاهرة والحيلولة دون تفاقمها وذلك من خلال التواصل بين المنظمة الدولية والمنظمات الانسانية للعمل الجاد في سبيل حل امثل لهذه المشكلة.

ومن هنا تقع مسؤولية التصدي لحل هذه المشكلة على عاتق الولايات المتحدة اولا ودول الجوار ثانيا والبلدان الراغبة في الحد من هذه الهجرة ثالثا. على ان يبدأ الحل بمعالجة السبب الاول والاخير لهذه الظاهرة الخطرة والمتمثلة بالإرهاب المنظم ومن يدعمه ويسهل تدفقه، والجميع يعلم ذلك. ويعلم علم اليقين ان ما حصل ويحصل من تهجير وتشريد هو نتيجة استفحال امر الارهاب المدعوم والمسكوت عنه، ولذا فان تقديم مساعدات معينة او توفير ملاذات مؤقتة او البحث عن وسائل توطين لهذه الافواج تعتبر وسائل تسكين موضعي لحلول عرجاء اذا لم تكن مسبوقة باجتثاث الارهاب المستشري، والا فأن تلك الحلول والمعالجات المؤقتة قد تشجع زمر الارهاب على الايغال في هذه الجريمة البشعة لتهجير المزيد من الابرياء كي تخلوا لها الساحة لتنفيذ مخططاتها الكهوفية، ناهيك عما تثيره عمليات التهجير من اضطراب وارباك امني وفوضى وتدهور في كافة مفاصل الحياة وزيادة في معاناة المواطن العراقي الصابر واضعاف دور الدولة بصورة عامة والحكومة بصورة خاصة.

الحلول والعلاجات المؤقتة لمحنة المهجرين العراقيين لا تشفي بقدر ما تشجع زمر الإرهاب على الإيغال في هذه الجريمة البشعة لتهجير المزيد من العوائل الآمنة كي تخلوا لها الساحة لتنفيذ مخططاتها الكهوفية، ناهيك عما تثيره عمليات التهجير من اضطراب وتدهور أمني وشلل لمفاصل الحياة وزيادة في معاناة المواطن العراقي الصابر إضافة لإضعاف دور الدولة وحكومتها الوطنية

وعليه فإن المجتمع الدولي وعلى وجه الخصوص دول الجوار مدعوون الى مساندة ودعم الحكومة الوطنية العراقية من خلال المساهمة في منع تدفق الإرهابيين الى العراق، وتقديم المساعدات الممكنة من معلومات لوجستية واجهزة كاشفة واسلحة متطورة لغرض فرض الأمن والاستقرار داخل العراق والذي سيؤدي بالنتيجة الى قطع دابر الإرهاب وايقاف موجات التهجير القسري.

أبناء غاندي.. سيتكلمون بالعربية وبالعراقية أيضا

عصام سليمان - تلكيف

دائما يسمعون من صمتهم ويفهمون من غموضهم ويشدون الآخرين أليهم بتنازلاتهم ومقاومتهم الهادئة لكل القيم السائدة. وغالبا ما ينجحون ويصعدون إلى الطوابق العليا من الذاكرة الإنسانية بابتكارهم لوسائل جديدة ومتجددة في الإجابة على الأسئلة والتحديات التي تجابه مجتمعاتهم وشعوبهم لأنهم ببساطة لا يملكون أنفسهم ولا تعبر كلماتهم عن مصالحهم الشخصية بل يشترون بها وبإصرارهم الخلود والإنسانية الفاضلة القادرة على فتح أبواب الكرامة أمام من يسعى في ذلك النهج ليستحق بأن يضاف إلى قائمة أبناء غاندي. أبناء الألم المقترن بالاصرار والصبر القادر على تجاوز كل الحدود ومجابهة كل الصعوبات وطرد كل المحتلين والانتصار على أعتى الأعداء وسحقهم ولكن دون عنف أو دم دون قتل أو ذبح دون سرقة أو تهجير دون مكائد تنصب على الأرض لتقتل كل حي فيها بل بمكائد ومناورات عظيمة ورائعة تلتف حول الخصم وتكشف نواياه وتفضح خطوطه ليصبح عاريا تماما أمامهم لأنهم استوعبوه في مخيلتهم ومداركهم وأوقعوه في شرك أعماله وانقضوا عليه بقوة النسر الجارح ليسقطوه أرضا ويوسعوه ضربا ليمتلئ خجلا وخيبة دون أن يلمسوه أو يعكروا صفو وسائلهم التي لا يجدي معها عنف ولا تردعها الرذيلة. هذا ملخص بسيط عن كل من يسعى إلى هدف سام بوسائل تكلم عنها الكثير من الأنبياء والمعلمين الدينيين وطبقها أيضا الكثير من الزعماء السياسيين والقادة الشعبيين وأبرزهم الزعيم الراحل "غاندي" ذلك الزعيم الذي ظلمته الكثير من مناهجنا التاريخية وركزت فقط على الثورات الدموية والحروب الطاحنة التي شهدتها المنطقة والعالم ونادرا ما أتت على ذكره لأنه لم يقتل عدوه بوحشية ولم ينشيء تحالفات ومحاور في حربه مع الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس ولم يسع إلى تحرير الهند بقتل مواطن من بلده تحت إدعاء الخيانة أو على أساس التعامل بالمثل. وهذه ليست سوى دعوة إلى كل المتخصصين في هذا المجال إلى مراجعة المناهج الدراسية وإدراج التاريخ الإنساني الهادئ وأبطال اللاعنف العالميين في خططهم التربوية للأجيال القادمة لأن تاريخ العالم ليس فقط هيروشيما وكارثتها النووية أو سقوط بغداد بشكل دموي على يد المغول بل هو إجبار بريطانيا على الخروج من الهند والنهوض باليابان من الهاوية إلى القمة والوسائل هي غنية عن التعريف وأهم من أن تشرح بسطور. ويا ترى هذه التجارب المذكورة سابقا كم ستكون مفيدة لو اقتدينا بها في العراق سواء تلك المتعلقة بالمقاومة أو الإعمار. لكم تشوقنا للانقياد كالعميان وراء كل من يدعونا إلى بناء الإنسان من جديد وفق مقاييس البشرية الراقية حتى لو تطلب الأمر عقودا من الصبر والمثابرة، لكل من يجمعنا تحت محبة الوطن بمكوناته ومسمياته ومصلحته وسياسته وتوجهاته التي يجب أن تنطلق بعيدا عن الأصوات المرتفعة اليوم بأسلوب خاص يتناسب مع ألم العراق وأنينه. لطالما افتقدنا لزعماء ناضجين يتفهمون متطلبات هذه المرحلة الصعبة لا ينقصهم الإلمام بالخيارات المتاحة ولا يجدون صعوبة في الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى. قادة يجمعون الصفوف ويحشدون طاقاتها في سبيل هدف معين هدف يجمع العراقيين ولا يفرقهم هدف سهل يمكن لأي طفل صغير أن يعبر عنه بكل سهولة ولا يحتاج إلى عالم دين هنا أو مجتهد في الرأي هناك. لا يتطلب مليون متكلم ولا مائة حزب سياسي. هدف لن تحققه بغلق شوارعنا أمام توجهاتنا أو بعزل مدننا عن الحياة وكأننا نحن الإرهاب وفينا أيضا من يقاوم ذلك الإرهاب. لن نستمر وفق هذه المعادلات لأنها غير سوية ولن يكون في القواميس أي ذكر لنا أو لبلدنا إذا كنا كما نحن الآن. لماذا لا يخرج في ساحتنا اليوم دعاة يتبعون مدرسة غاندي فهي تسهم نوعا ما في معالجة مشاكلنا لأن أكثر المطروح فيها من أفكار يساعد على رص الصفوف الداخلية وتقوية أواصر المواطنة بين أبناء الوطن الواحد وهذا ما نفتقده كثيرا لكي نصبح أقوياء في جبهاتنا الخارجية خصوصا بعد أن أصبح بلدنا نقطة شد وجذب بين هذا وذاك. لم يسع غاندي إلى طرد المحتل بفصل كلكتا عن كراجي ولا بعزل بومباي عن محيطها كما يفعل البعض في بلدنا في استنباطهم لأساليب يدعون بأنها لمقاومة الاحتلال والأخير لا يجوع ولا يتألم بها لأنها مستنبطة على أسس ومصالح متشابكة يمكن أن تدرج تحت عنوان ما تمليه هذه الجارة أو لإسقاط هذه الحكومة وليس في مرتبة الأهداف الوطنية السامية كتلك التي ينادي بها أبنا ء غاندي في كل مكان. نحتاج اليوم في العراق إلى وسائل غير عنيفة لكي نتبادل وجهات النظر ولنلغي التعاملات الخشنة بيننا كأبناء وطن واحد نشترك في الكثير قبل أن نتصور بأننا مختلفون على القليل وهذه الأساليب والوسائل السلمية كثيرة ولكنها بعيدة عن متناول البسطاء بسبب عقود من الحروب الطويلة وعلى خلفيات تاريخية لم تأت على ذكر السلام إلا في ما ندر وقل وربما تحتاج لتعمم كثقافة متداولة أن تتلى على كل المسامع وتقرأ على كل المنابر لكي نحصل على أجيال لا تقتل عندما تغضب ولا تذبح أو تجز الرؤوس عندما تختلف. وأيا كانت وسائل ارتباطنا فالمهم أن نستمر معا أمام كل التيارات سواء كنا طائفيين بحقوق منتقصة أو أنانيين لا نشبع ولا نقنع المهم أن نكون عراقيين وفق أعلى مقاييس العراقية التي لم نضعها لحد الآن حتى لو سعينا في ذلك إلى تعلم الهندية التي تكلم بها غاندي وتدربنا على روح المثابرة التي يتمتع بها اليابانيون لكي نبدأ في بناء عراق متعطش لكل صنوف البناء ولإنجاب المزيد من الأبناء الناطقين بلغات السلام جميعها مضافا أليها العربية والعراقية بلغاتها ولهجات تلك اللغات المتعددة.